ردمد EISSN 2600–6324 ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

رحلتي إلى تونس، نوفمبر 2017م
My Trip to Tunisia, November 2017

صص221- 246

أ.د عبد القادر خليفي
Pr . KHELIFI Abdelkader
أستاذ التعليم العالي، قسم التاريخ وعلم الآثار،
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران 1 أحمد بن بلة. (الجزائر)
Khelifi.abd2009@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2018/08/02، تاريخ المراجعة: 2018/09/10، تاريخ القبول: 2018/09/24.

الملخص: يتمحور مقال اليوم حول الرحلة العلمية التي قمت بها إلى تونس في شهر نوفمبر من سنة 2017 التي تدخل في إطار التربص القصير المدى الممنوح لأساتذة الجامعة الجزائرية كل سنة، ويشمل الزيارات العلمية لبعض جامعات تونس كجامعة 9 أبريل 1938 وجامعة منوبة، وزيارة مؤسسة بيت الحكمة الكائنة في قرطاج حنبعل، وما تقوم به هذه المؤسسة من نشاطات علمية متواصلة كعقد الندوات وتقديم المحاضرات وتحليل الكتب والتعليق عليها، ومنها زيارة متحف باردو للآثار القديمة والحديثة وما تحويه المؤسسة من مآثر إسلامية ورومانية، ومنها زيارة بعض المواقع الأثرية كالآثار الرومانية والإسلامية في مختلف الجهات من العاصمة تونس، ومنها زيارة مدينة الحمامات ومؤسسات الاستحمام فيها.

وتحدثت عن الأشخاص الذي التقيت بهم في هذه المواقع وفي غيرها. وتحدثت عن كل مكان زرته من حيث الوصف الحالي وفي التاريخ. وتحدثت عن بعض قضايا التونسيين الآنية كالحالة الأمنية وبعض الخصوصيات التونسية، وركزت على جامع الزيتونة الذي اشتهرت به البلاد التونسية منذ العهود الإسلامية حين كان منارة للعلم يقصدها المتعلمون من كل الجهات المغاربية والإفريقية للتزود بالعلم والمعرفة.

الكلمات المفتاحية: تونس؛ الرحلة؛ الزيتونة؛ قرطاج؛ الجامعة؛ الآثار.

Abstract: This article contains information about the scientific trip that I made in Tunisia in November 2017. It was part of the short courses given to Algerian university teachers each year of internship. It included scientific visits to some universities in Tunisia such as, the University of 9 April 1938, and the University of Manouba, as well as, the visit of Baital Hikma located in

Carthage-Hannibal. Moreover, there used to be many scientific activities as seminars, conferences, book reviews, which were commented, including the visit of the Museum of Bardo, and the contents of the Islamic and Roman exploits. Furthermore, the trip encountered the visit of the archaeological sites, the Romanian ruins located in the different districts of the capital Tunis, counting the visit of Hammamet and bathing institutions. I talked about people I met in those places and elsewhere. I talked about all the places I visited in terms of description and current history. I focused on the mosque of Zaytouna, famous for the Tunisian country since the Islamic era, where it has been a beacon of science for learners from all countries of the Maghreb and Africa.
Key words: Tunisia; Travel; Zaytouna; Cartage; University; Archeology.

مقدمة: كانت تونس بالنسبة لي هي البلاد التي لم أشد إليها الرحال سواء على حسابي الخاص أو في إطار الرحلات العلمية التي تشرف عليها الجامعة الجزائرية في إطار التربصات العلمية السنوية المخصصة للأساتذة.

تم تسليمنا وثائق قبول التربص القصير المدى للسنة الجامعية 2017/2016 في شهر أكتوبر من سنة 2017، ومادامت المنحة تخص السنة المالية 2017 فكان لِزاماً علينا قانونا استخراج القيمة المالية قبل نهاية السنة الميلادية، أي قبل نهاية شهر ديسمبر، لذلك سارعت وزميلي- مرافقي- موفقس محمد إلى اقتطاع تذكرة السفر المطلوبة ضمن ملف تحويل الدينار المُسَلم من الجامعة إلى عملة صعبة (أورو)، يوم 7 أكتوبر.

حل موعد السفر، كانت الساعة تشير إلى 16.15 بعد الزوال من يوم الاثنين 13 نوفمبر، التقيت وزميلي موفقس محمد في مطار وهران أحمد بن بلة قبل الإقلاع. كان اليوم مشمسا، وقد طالت على الجزائريين مثل هذه الأيام المشمسة التي تسببت في جفاف طويل مس البلاد والعباد.

بعد مرور ساعة وخمس وعشرين دقيقة كانت الطائرة تحط بنا في مطار تونس قرطاج، بعد أن خيم الظلام على المكان. ودَّعَنا ربان الطائرة متمنيا لنا رحلة ممتعة وعودة ميمونة. كانت درجة الحرارة منخفضة ولكننا تجهزنا للأمر.

بعد إتمام إجراءات الدخول في المطار وبخاصة المرور عبر المصالح الأمنية، خرجنا من المطار، اتجهنا إلى البنك لصرف العملة الصعبة بالدينار التونسي. صعدنا نحو

الطابق الأعلى، انتظرنا قليلا في الشارع المجاور للمطار، ركبنا سيارة أجرة، التي حملتنا إلى وسط المدينة مقابل خمس دنانير تونسية بحسب ما سجله عداد السيارة.

وبينما كانت زيارتي هذه هي الأولى إلى تونس، كان زميلي قد زارها قبل ذلك، فاتجه بي إلى الفندق الذي تعوَّد النزول فيه، ويقع بجوار محطة المترو:[1] برشلونة بوسط المدينة. لم نجد صعوبة في الحصول على غرفتين متجاورتين على انفراد تحتوي كل منها على كل متطلبات الراحة (تلفزة- تدفئة- حمام- بيت راحة).

كان الاستقبال حسنا، لم يسجل أمامنا الموظف أي شيء ما عدا استلامه لجوازي سفرنا. سلمَنا الموظف المفاتيح للاطلاع على الغرفتين، صعدنا عبر المصعد، كانت الغرفتان مناسبتين، وضعنا أمتعتنا في الغرفة وخرجنا لنتدبر أمر عشائنا في الجوار. كان اليوم ممطرا عكس الجزائر التي تركناها في جفاف طويل، واستمر هذا الجو الممطر لمدة أربعة أيام متتالية، وهو جو قاتم لا يساعد على قضاء المصالح بسهولة. وبعد قضاء تلك الليلة في ذلك النزل، انطلقنا في اليوم الموالي نقضي مصالحنا.

1- في جامعة منوبة: قمنا في اليوم الثاني صباحا في النزل، وهو يوم الثلاثاء 14 نوفمبر، تناولنا فطور الصباح، وهو ضمن تكاليف المبيت. اتجهنا نحو جامعة منوبة، كان المترو رقم أربعة هو الموصل إليها انطلاقا من محطة برشلونة. وبعد المرور على مجموعة من المحطات نزلنا في المكان بمساعدةٍ من بعض الطلبة.

عند المدخل كانت الصدفة قد جمعتنا بملتقى دولي بعنوان: "المؤتمر العالمي الثالث حول الدراسات الإسبانية في العالم العربي 14-15- 2017/11/16." من تنظيم الجمعية العربية للمهتمين بالعالم الناطق بالإسبانية، والجمعية التونسية لدارسي اللغة الإسبانية وآدابها. تم الافتتاح في قاعة حسن حسني عبد الوهاب، بكلية الآداب والإنسانيات جامعة منوبة، لينتقل المدعوون بعد الافتتاح الرسمي إلى قاعة أخرى غير بعيدة عن المكان الأول.

كان الحاضرون من العالم العربي ومن إسبانيا ومن أمريكا اللاتينية، تجمع الجميع لغة سرفانتس وثقافة الأندلس. هدفهم التفكير في تنظيم لقاءات بصورة دورية للتخطيط على نحو منظم في مشاريع تعتني بالبحث المقارني بين الحضارتين

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

العربية والإسبانية، تهتم بنقاط كثيرة، لعل أبرزها مراجعة الإرث العربي الإسلامي وقراءته بمناهج جديدة تكشف ما بين الثقافتين من تفاعل عميق لم تكشف أسراره بعد.

لقد تم عقد المؤتمر الأول في مصر بينما عقد الثاني في المغرب، وجاء المؤتمر الثالث بتونس لمواصلة الجهود الرامية إلى تعزيز أواصر التعاون بين العالمين العربي والناطق بالإسبانية بمشاركة حوالي سبعين باحثا ومثقفا وأستاذا من عدة جامعات: المغرب- الجزائر- مصر- الأردن- فلسطين- إسبانيا- الأرجنتين- كولومبيا- بيكاراغوا- تونس.[2]

ويهدف هذا المؤتمر المنعقد في تونس، بحسب الدكتور رضا مامي عضو الهيئة العلمية للمؤتمر، إلى إثراء البحث في المساهمات العربية المكتوبة باللسان الإسباني في مختلف مجالات الثقافة والفكر والأدب، ويسعى إلى إثارة مختلف القضايا والإشكالات المتعلقة بقيمة هذه المساهمات وأدوارها وسبل تطويرها ودعمها وجني ثمارها في شتى حقول المعرفة الإنسانية (المطبوعة).

التقينا في هذه المناسبة بعدة أشخاص، منهم أستاذ جزائري من وهران وأستاذة جزائرية من الجزائر العاصمة وكلاهما تخصص لغة إسبانية. ومن التونسيين التقينا بالسيد عبد العزيز قاسم موظف سامي متقاعد ذو مستوى جامعي، مارس عدة مسئوليات إدارية منها مدير الإذاعة التونسية ومدير المكتبة الوطنية. ومنهم الدكتور رضا كشريد سفير سابق ووزير صحة سابق في الحكومة التونسية. والباحثة التونسية إشراف مناعي طالبة ماجستير إسبانية-عربية وإسبانية- فرنسية.

نلاحظ هنا حضور هذين الرجلين لمتقى علمي رغم تقاعدهما، فهما ما يزالان يحضران المؤتمرات العلمية ولم يعتزلاها. تناولنا معهما الحديث حول عدة قضايا عربية ودولية معاصرة، وكان لمرافقي الأستاذ موفقس مواقف في هذا المجال. ما يثير الاهتمام أيضا هو عدم اقتصار المؤتمر على الأساتذة ذوي الخبرة والتجارب العريقة، بل تم إشراك باحثين من أجيال مختلفة مازال البعض منهم يحضر لأطروحة الدكتوراه، مما سيمكنهم من تقديم مساهمات طريفة تكسبهم الخبرة في دراساتهم والارتقاء إلى مستويات أكاديمية عالمية.

وقد علمنا فيما بعد، أنه تم عشية الأربعاء 15 نوفمبر انتخاب الجامعي التونسي رضا مامي- المذكور أعلاه- على رأس الجمعية العربية للمهتمين بالعالم الناطق بالإسبانية، لمدة نيابية تدوم ثلاث سنوات، أي من سنة 2017 إلى سنة 2020.

انتقلنا في اليوم نفسه إلى قسم التاريخ الذي لم نجد رئيسه حاضرا بسبب غيابه في مهمة. رحب بنا الأستاذ عمر بن حمادي تخصص تاريخ وسيط، حادثنا قليلا واعتذر لحلول وقت التحاقه بالمدرج لتقديم محاضرة للطلبة، ومع ذلك كان يصر على أن نخبره بطلباتنا إن كانت لنا طلبات.

اطلعنا على الشعَبِ المفتوحة في قسم التاريخ مستوى الماستر للسنة الجارية 2017-2018، فوجدنا الاختصاصات التالية: تاريخ العالم المتوسطي وحضارته- تاريخ قديم/ وسيط- تاريخ حديث/معاصر- بحث تاريخ تراث وآثار.

2- في جامع الزيتونة: هو المسجد الرئيس في مدينة تونس العتيقة وأكبرها وأقدمها. يرجع تأسيسه إلى سنة 79هـ/698م بأمر من حسان بن النعمان، أحد الفاتحين بشمالي إفريقيا، وأتمه عبد الله بن الحبحاب سنة 732م. يقع الجامع على مساحة 5.000 متر مربع. تتكون قاعته من 184 عمود. ولعل المفكر العربي شكيب أرسلان أوجز دور الزيتونة عندما اعتبره، إلى جانب جامع الأزهر والجامع الأموي وجامع القرويين، أكبر حصن للغة العربية والشريعة الإسلامية في القرون الأخيرة.[3]

لا يمكن لمن يزور تونس أن يتغافل عن زيارة جامع الزيتونة. كنا نسمع ونقرأ عنه، وقد تعلم به طلبة جزائريون على مر السنين، فكان له بذلك دور الريادة، إلى جانب القرويين بفاس والأزهر بالقاهرة. لقد قام بدور مهم في تنوير العقول ورفع المستوى والحفاظ على اللغة العربية والشرع الإسلامي.

يقع جامع الزيتونة بالحي القديم من مدينة تونس في جهة مرتفعة عما جاورها، حضرنا صلاة المغرب يوم الثلاثاء 14 نوفمبر 2017. وهو اليوم الثاني من وصولنا إلى تونس، وكان برفقتنا طالبنا نمر هشام بومدين الذي هو في تربص طويل المدى، لتحضير شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، في إطار منحة جامعية،[4] الذي كلمناه هاتفيا، فحضر في الحين ملبيا. هو الذي دلنا على الطريق رغم أن زميلي- مرافقي يعرف الطريق أيضا. كما زرناه وقت صلاة المغرب من يوم الخميس 16-11-2017.

يتسع المسجد عرضيا بشكل كبير ويمتاز بعلو شاهق، له فناء جد متسع خلف قاعة الصلاة، وفي جانبه المقابل للقاعة والمحيط بالساحة توجد المئذنة.

هل لجامع الزيتونة نظام خاص في الصلاة؟ ذلك ما سيخبرنا عنه أحد المسَمِّعين[5] بعد أن اعتذر الإمام عن تخصيص وقت لنا إما لارتباطه بالدرس الذي يلقيه بعد الصلاة في المرة الأولى، أو بتوجيهنا إلى وزارة الشؤون الدينية في المرة الثانية. ما يزال المؤذن يصعد المئذنة للقيام بالآذان في الصلوات الأربع (ما عدا صلاة الصبح). -لا يُستعمل مكبر الصوت، بل يُكتفى بصوت المؤذن، كما كان في العهود القديمة. -في كل صلاة يقوم مساعد الإمام، كما هي العادة، بترديد الإقامة، ويردد المُسَمع بعده، والموجود في الخلف، أمام باب البهور عبارة: "الصلاة حضرت يرحمكم الله" بطريقة خاصة.

حضورنا لدرس الإمام: يقدم الدروس أئمة أخذوا علمهم من مشايخ الزيتونة، طيلة أيام الأسبوع. بعد الانتهاء من صلاة المغرب من يوم 16-11-2017 انتقل الإمام إلى وسط المسجد، حيث توجد منصة وكراسي. جلس الإمام على المنصة وأمامه كتاب، وقبل أن يفتحه سأل الحاضرين عن الدرس السابق، منهم من أجاب ومنهم من سكت، "وما كنا للغيب حافظين".

أ- قدم الإمام عنوان الدرس بحسب ما هو مكتوب في الكتاب: "باب مَن يَرفع رأسَه قبل الإمام." من كتاب الموطأ للإمام مالك. قرأ الإمام الحديث ثم نقل الكتاب لمن حوله مبتدئا بالأيمن فالأيمن إلى أن قرأ كل الحاضرين. أعيد الكتاب والكلمة إلى الإمام ليشرح المضمون. فسر الإمام وشرح أخطاء المأموم في مختلف الركعات من تكبيرة الإحرام حتى السلام والخروج من الصلاة، وبين ما يجب عليه.

ب- انتقل إلى العنوان الثاني وهو: "باب ما يَفعَلُ مَن سَلم بين الركعتين"، واتبع الإمام الخطة نفسها، كما فعل مع الموضوع الأول، وانتهت الجلسة بالدعاء.

يُدعى الإمام المذكور محمد الكامل سعاد، إنه إمام الجمعة بجامع الزيتونة. يقول عن نفسه: عمري سبعين سنة، إمام خطيب بجامع الزيتونة، وقاض متقاعد، أحمل شهادة دكتوراه دولة في العلوم الشرعية من تونس، أختص بتدريس كتاب الموطأ بعد أن أخذت الإجازة والسند من الشيخ محمد الزغداني عن مالك.

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

بعد زيارتنا لجامع الزيتونة تبادر إلى ذهننا التساؤل حول مكانة الدراسات الإسلامية في تونس المستقلة؛ هل مازالت العلوم الشرعية تدرس في تونس أم دخلت في عداد المفقودات بعد أن سادت العلوم الحديثة والتجريبية بخاصة، نتيجة التطور العلمي، إلى جانب الضغوط الغربية التي تهدف إلى القضاء على كل ما يربطنا بمقوماتنا الأساسية في إطار ما يسمى بالعولمة. وقد تدخل الطالب الباحث هشام ليجيبنا بما يلي: "فيما يخص الدراسات الشرعية الأكاديمية فإنها تدرس حاليا في جامعة الزيتونة بالمعهد العالي لأصول الدين المقابل لجامع الهواء (المؤسس خلال القرن 7هـ/13)، إلى جانب المعهد العالي للحضارة الإسلامية، وكلاهما تابع لجامعة الزيتونة (وهما متقابلان، تفصل بينهما ساحة). ومن الوحدات البحثية التابعة للمعهد الأخير، والتي كنت في تواصل معها: وحدة بحث تاريخ حواضر الغرب الإسلامي."[6]

أما بالنسبة للموقع فإن جامعة الزيتونة ومكتبة الآباء البيض والأرشيف الوطني لا تبعد كثيرا عن محطة برشلونة، وموقعها خلف المدينة العتيقة، يمكن ركوب مترو رقم أربعة (4) والنزول عند محطة باب سعدون، ومنها السير حوالي كيلومترين اثنين للوصول إلى المكتبة الوطنية والأرشيف، وبعدها مباشرة تقع جامعة الزيتونة ومكتبة الآباء البيض، والكائنتين بالقرب من جامع الهواء، وهو من أقدم الجوامع في مدينة تونس.

ويتبع جامعة الزيتونة مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان الذي أنشيء في 30 ديسمبر 1990، وهو مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، وتخضع لإشراف وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا.[7]

3- متحف باردو: خصصت ذات صباح لزيارة متحف باردو، بعد أن استفسرت صاحب النزل عن طريق الوصول. كان المترو هو رقم أربعة، انطلاقا من محطة برشلونة، أي في الطريق نفسه الذي سلكناه للوصول إلى جامعة منوبة. بعد الدخول اتجهت إلى شباك يجتمع حوله الزوار، كان الشباك من أجل دفع تكاليف الزيارة وهي: 11 دينارا تونسيا، بعد المرور على المراقبة الأمنية. تقدمت نحو أجنحة المتحف وهي على شكل غرف بينها ممرات متسعة، كانت الجدران مغشاة باللوحات التاريخية:

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

صور، أشكال، أواني، تماثيل، جداريات معبرة نزعت من أماكنها الأصلية وجيء بها للعرض داخل أروقة المتحف.

يبدأ الزائر من اليمين وهو مخصص للتاريخ الإسلامي، لينتقل الزائر بعد ذلك إلى المرحلة اللاتينية والإغريقية عبر اللوحات الفسيفسائية والزخارف والأشكال والكتابات الرومانية وبقايا شواهد قبور، ألواح محفورة وأواني فخارية مزخرفة عن مقاطعة قرطاج. ويتكرر في الطابق العلوي المخصص للرومان هو أيضا وبخاصة التماثيل المشهورة عن الرومان، كالزعماء السياسيين والعسكريين ورجال الدين عامة.

توجد في الجناح الإسلامي لوحة عن مدينة القيروان بعنوان: "تعايش الأديان" يذكر فيها وجود مسيحيين وعدد من الأجناس كالبتر والبرانس من الأمازيغ، والقيسيين واليمنيين من العرب، ومن المسيحيين رومان ولاتين وإغريق وبيزنطيين من الروم واليهود.. والجالية الأندلسية ومن الإفريقيين وعدد من العبيد الذين وقع إعتاقهم وهم من السلوفينيين. وتعَبِّر اللوحة، بدون تعليق، على سماحة الحضارة الإسلامية وانفتاحها على كل الأجناس والمعتقدات دون أن يؤثر ذلك على السير الحسن لدواليب الدولة، بل يزيدها ثراء وتسامحا بتعاون الجميع لبناء صرح حضارة إنسانية رائدة.

وبجوار متحف باردو يوجد متحف الحسين وهو مقر البايات، حُول إلى المعهد الوطني للتراث، يدرس به طلبة الثانوي وهو تابع لوزارة الثقافة.

4- جامعة 9 أبريل 1938: تقع جامعة 9 أبريل بجوار بلدية تونس وغير بعيد عن المدرسة الصادقية وجامع الزيتونة، فهذه المؤسسات تقع بجوار بعضها البعض في مرتفع يطل على وسط المدينة.

اتجهت وزميلي موفقس إلى هذه الجامعة، مررنا في مدخل الجامعة بمعرض تقيمه "مؤسسة بيت الحكمة"، حصلنا منه على بعض الكتب بتخفيض بلغ 40%. تجاوزنا المدخل لتواجهنا لافتة كتب عليها انعقاد ملتقى دولي حول: "الحوار والمحادثة عند مفترق الطرق"، أيام 16-17-18 نوفمبر 2017. حضرنا إحدى المداخلات يوم الخميس 15 نوفمبر وهي ضمن الجلسة الثانية. والندوة من تنظيم مختبر (Intersignes) الدكتورالية لـ(FSHST) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس. شارك الحاضرون من تونس والجزائر وفرنسا. قدمت بحسب البرنامج بين 3 و4

مداخلات في كل جلسة مقسمة بين صبيحة وأمسية اليومين الأولين. واكتفت الندوة في اليوم الأخير بجلسة واحدة تضم تسع مداخلات بينها استراحة واحدة لمدة ربع ساعة لتناول القهوة.

عدت إلى الجامعة مرة ثانية، انتظرت فتح مكتب رئيس قسم التاريخ (الأستاذ مصطفى التليلي) فلم أوفق، واتجهت إلى المكتبة الجامعية حيث اطلعت على قائمة الرسائل الجامعية، علني أجد بعضها عن الجزائر فلم أوفق، وسلمت بهذه المناسبة بعض كتاباتي للمكتبة.

مشاريع الماجستير المفتوحة: في قسم التاريخ بالجامعة المذكورة خلال السنة الجامعية 2017-2018 هي كالتالي: ماجستير تاريخ قديم- ماجستير قديم/وسيط- ماجستير حديث/معاصر- ماجستير آثار قديمة- ماجستير وسيط- ماجستير معاصر- ماجستير علم التراث.

5- قرطاج حنبعل (بيت الحكمة): امتطيت مترو (TGM) رقم ستة (6) انطلاقا من محطة برشلونة، وبعد محطات قليلة يتوقف المترو في محطة نهائية، لينتقل الركاب إلى مترو آخر هو الذي يواصل الرحلة في الاتجاه المطلوب. كنا نسير عبر ذراع من اليابسة ممتد في مياه البحر، تلوح لنا مياه البحر يمينا وشمالا، تتسع مساحة اليابسة حينا وتضيق حينا آخر، يا له من منظر خلاب. مررنا بمحطات عديدة قبل الوصول إلى المحطة المرغوبة. نزلت واستفسرت عن المكان فدلوني على مؤسسة بيت الحكمة، هي عبارة عن بناية كبيرة لها مدخل رئيسي تتقدمه باحة بها الأشجار ومكان لركن السيارات. يطل المكان على البحر المترامي الأطراف في شاطئ صخري، إنه البحر الأبيض المتوسط بأصوات مياهه وحركته الدائمة.

دخلت من الباب الرئيسي، فإذا بي أقف أمام معرض للكتب وخلف الطاولة موظفة ترحب بالداخل، وتدعوه للاطلاع، وبجانب الكتب لوحة عليها: تخفيض بـ20%، لقد نجحت بعد أن حصلت أمس على كتابين من معرض المؤسسة نفسها في المعرض المقام بجامعة 9 أبريل، حيث بلغ التخفيض هناك 40%، كما ذكرنا سابقا. استفسرت عن بعض الكتب التاريخية فسلمتني قائمة بأسماء الكتب المنشورة بالمؤسسة في كتابين: أحدهما خاص بالكتب المطبوعة باللغة العربية وثانيهما خاص بالكتب

المطبوعة باللغة الفرنسية، وعلى كل منهما العنوان التالي: "دليل منشورات بيت الحكمة"، وبتصفح الكتاب الخاص بالمطبوعات العربية، يتبين لنا أن بيت الحكمة أصدرت من سنة 1983 إلى سنة 2010 مائتين وسبعين عنوانا، وبهذا الكتيب نبذة موجزة تعرف بتلك الكتب وتسلط الضوء على محتواها.

وقد ورد في مقدمة الدليل أن المجمع لم يقتصر على الكتاب كوسيلة أساسية لإنتاج المعرفة ونشرها، بل عمل على تنظيم الندوات والمحاضرات. ويشير إلى أن أهم هذه التظاهرات التي دأب المجمع على تنظيمها، تظاهرة "ملتقيات قرطاج الدولية" التي يشارك فيها عدد من الخبراء الوافدين من جميع الأصقاع والأمصار، والتي اختير لانعقادها فصل الربيع من كل سنة، مما يحول المجمع إلى مركز ثقافي عالمي يؤمه العلماء والخبراء والمثقفون من كل بلدان العالم.[8]

أ- ندوة في بيت الحكمة: استوقفتني لافتة، عند مدخل مؤسسة بيت الحكمة، تدعو إلى حضور فعاليات ملتقى دولي يعقد في المؤسسة. تحت عنوان "Colloque international l'utopie au présent" يومي 16 و17 نوفمبر 2017. بحثت عن برنامج الندوة فلم أحصل عليه، ربما لنفاذ النسخ المطبوعة. وتوجهت إلى القاعة التي تعقد فيها الندوة، كان الحضور في استراحة وشرب للقهوة. انتظرت نهاية الراحة وجلست أستمع إلى المداخلة الأولى في الجلسة الثانية من اليوم الثاني (17 نوفمبر). كانت المتدخلة تونسية الجنسية على المنصة وبجانبها ثلاث أساتذة بمن فيهم رئيس الجلسة.

يدور محور الندوة حول اليوتوبيا، وهي ضرب من التأليف أو الفلسفات التي يتخيل فيها الكاتب الحياة في مجتمع مثالي يزخر بأسباب الراحة والسعادة لكل البشر وتختفي فيه الشرور. أي هي كل عمل أدبي أو فلسفي يتعلق بالمدينة الفاضلة. أول من كتب قصة خيالية فلسفية سياسية هو توماس مور الإنكليزي (1478-1535) الذي صور فيها دولة مثالية فيها الخير والسعادة للبشر. أو هي أدب متعدد الاختصاصات والتفكير لدعم الفنون والعلوم. يضع المؤتمر لمسات لأماكن الخلق والتفكير التي تساعد على مواجهة مختلف الحساسيات والخلفيات والمهارات التي تثير تساؤلات. والحوار يتغذى على المدينة الفاضلة والتاريخ خلق اليوتوبيا، واليوتوبيا تتواجد وتدافع أيضا عن التاريخ.

تتمحور مواضيع الندوة حول مجموعة من الطروحات: 1- يوتوبيا كنموذج إبستيمولوجي وفني. 2- أقاليم أو مجالات اليوتوبيا. 3- الأساطير الإسقاطية لليوتوبيا. 4- الطوباوية والعالمية..

وبيت الحكمة هذا، الذي تعقد فيه الندوة، هو "المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون" يقع بـ25 شارع الجمهورية، قرطاج حنبعل تونس. شيد المبنى، كما جاء في إحدى المطبوعات الداخلية- الذي يحتله المجمع حاليا- سنة 1866، وسمي قصر زروق في عهد البايات الحسينيين. يطل على البحر عند سفح بربوة قرطاج بالقرب من حمامات أنطونيوس. صار بعد استقلال تونس مقرا للديوان الوطني للصناعات التقليدية ثم للمعهد القومي للآثار، وفي سنة 1983 اتخذ مقرا لبيت الحكمة الذي تحول إلى مجمع سنة 1992م[9].

جاء في إحدى مطبوعات المُجمع أن من مهامه: جمع أعلام الثقافة البارزين وتمكينهم من مواصلة تطوير البحث... المساهمة في إثراء اللغة العربية والسهر على سلامة استعمالها وتجميع قدراتها وتطويرها... المساهمة في العناية بالتراث في مجالات البحث والنشر. تأليف المعاجم والموسوعات وترجمة المؤلفات. تنظيم ندوات ومحاضرات في مجالات اهتمام المجمع. –تشجيع الإبداع ونشر مؤلفات ذات طابع علمي وأدبي وفني. تقديم آراء حول المسائل التابعة لاختصاصها...

ب- صلاة الجمعة في قرطاج حنبعل: كان اليوم جمعة 17 نوفمبر 2017، حين زرت بيت الحكمة، وعندما حان موعد الصلاة، اتجهت إلى مسجد مجاور، لا يفصل بين المؤسستين سوى عشرات الأمتار. هو مسجد صغير بين الفِلات، به ملحق للوضوء في أسفل قاعة الصلاة. توضأت ودخلت قاعة الصلاة. كان الإمام يلقي الدرس الذي يسبق الخطبة، موضوعه "شخصية النبي صلى الله عليه وسلم". ما لاحظته جديدا بالنسبة لي، هو قيام الإمام بدعوة الناس إلى الصلاة على النبي حينا والاستغفار حينا آخر، وترديد سور الإخلاص والمعوذتين وقول اللهم يا لطيف أحيانا أخرى. أي أنه لا يكتفي بعرض الدرس، بل يشرك الحضور وينبههم من حين إلى آخر بهذه الإيعازات، حتى يتواصلون معه فيما يقدم لهم.

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

بعد حلول وقت الخطبة، صعد الإمام المنبر وألقى الخطبة قراءة ليتوسع بين الحين والآخر في شرح بعض الأمور للتوسع والفهم واستحضار أمثلة من واقع التاريخ أو واقع الناس في حياتهم اليومية، لينتقل إلى إمامة الناس في صلاة الجمعة. وبعد نهاية الصلاة يردد المصلون الصلاة على النبي ثم يدعو الإمام. وبعدها قام أحد الحاضرين بتوزيع خطبة الجمعة الفائتة، وهي من توقيع الإمام نفسه الشيخ صالح البجاوي.

وقد ذكر لي الباحث -طالبنا في الدكتوراه نمر بومدين هشام- أن لقب البجاوي شائع في تونس، يحمله الكثير من التونسيين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أصولهم من بجاية الجزائرية. ويضيف الطالب الباحث قائلا: "التقيت بأحدهم وهو كهل يمتهن الحلاقة لقبه بجاوي، قال بأنه يرجع في نسبه إلى الولي الصالح سيدي البشير البجائي الأصل الذي جاء إلى تونس واستقر بها، وهذا ما يفسر حركة الامتزاج بين الشعوب المغاربية التي كانت ولا تزال قائمة بينهم عن طريق الهجرة والرحلة والمصاهرة."[10]

ج- **قصعة كسكسي تونسي في المسجد**: عند مدخل المسجد كانت تنتظرنا قصعة كسكسي تونسي، كما هي عادة مساجدنا في الجزائر من حين إلى آخر، يقدمها الناس بنية الصدقة على الوالدين أو على شخص معين أو شكرا لله على توفيق حصل لأحدهم، فيقدم الكسكسي للمصلين غالبا، وفي الغرب الجزائري يدعى الكسكسي بـ"الطعام".

كنا خمسة أفراد انفردنا بالقصعة التي وضعوها في أحد أركان المسجد، لأننا تأخرنا قليلا عن الخروج. كانت قصعة من الكسكسي كما هي عندنا في الجزائر، وفوق الكسكسي لحم بقري وقطع جزر وقرعة حمراء (كابوية) وبطاطس وقليل من الزبيب، وهي مسقية بالمرق، أما الملاعق فقد أحضرت من المسجد نفسه. من هنا ازداد يقيني بوحدة المغاربيين في كثير من أمور حياتهم.[11] ورغم أن التونسيين مشهورون باستعمال الفلفل الحار في مختلف أكلاتهم، وهذا ما عانيناه نحن الذين لا نستسيغه من سكان الغرب الجزائري؛ إلا أن طعم الكسكسي كان خال من هذا الطعم هذه المرة، أما في

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

الجزائر فإن الطعم الحار يزداد استعماله كلما اتجهنا نحو الشرق الجزائري واقتربنا من الحدود التونسية.

د- قرطاج في التاريخ: قبل الخروج من موضوع قرطاج، يجدر بنا الحديث عن تاريخ هذه المدينة: إنها مدينة قديمة، عَرفت حضارة عريقة متميزة، تقع في شبه جزيرة بالقرب من مدينة تونس الحالية. أسسها البحارة الفينيقيون- القادمون من صور ببلاد الشام- كمركز تجاري وملاحي حوالي سنة 814ق.م[12] تحت اسم "قرط حدشت"، بمعنى القرية الجديدة، وهو الاسم الذي تطور ليصبح قرطاج. خاضت حروبا طويلة مستمرة ضد الإغريق المستقرين بصقلية، كما خاضت حروبا ثلاثا ضد روما، سميت بالحروب البونية التي دمرت في الحرب الأخيرة منها، وسيطر عليها الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد وشيدوا بها مبان ما تزال بعضها شاهدة على مرور الرومان بالمكان.

توجد على أطراف بيت الحكمة مجمعات لبعض تلك الآثار الرومانية: أحواض وحمامات وبيوت وأقبية وشوارع مرصوفة بحجارة مصقولة، وأعمدة شاهقة وكتابات على الجدران، وفلات رومانية، ومن أهم آثارها حمامات أنطونيوس والمسرح الروماني الذي يتسع لأكثر من ثمانية آلاف متفرج، الذي يقام فيه مهرجان قرطاج الدولي للفن والغناء سنويا، إلى جانب كاتدرائية سان لويس التي بنيت سنة 1884 والتي تحولت إلى متحف ومركز للمعارض الثقافية والفنية.

تجد كل هذا في أماكن غائرة تم التنقيب عنها بعد أن عفت عليها الطبيعة برمالها وصخورها. يدخل الزائر من أحد مداخل المتحف المفتوح على الهواء، بعد أن يدفع حق الدخول وهو 10 دنانير تونسية، إنها روائع من سالف الأزمان، تركها الأوائل للأواخر للعبرة والاعتبار.

6- النصب التذكاري لبورقيبة: ينتصب تمثال الرئيس الحبيب بورقيبة بالشارع المسمى باسمه وسط العاصمة التونسية، وهو على صهوة جواد، وعلى رأسه طربوش أحمر. وبجوار هذا النصب ساعة عملاقة نصبت في أعلى منصة عالية ذات أربع أوجه. يتميز شارع بورقيبة بالاتساع، وهو ذو اتجاهين يتوسطهما رصيف واسع للراجلين، هو الذي يتوسطه تمثال الرئيس وعلى جانب من جوانب النصب لوحتان: كتب على العلوية منهما ما يلي: "الزعيم الحبيب بورقيبة يوم النصر غرة جوان

1955." وعلى اللوحة السفلى كتب ما يلي: "في ذكرى عيد النصر وبإذن من رئيس الجمهورية محمد الباجي قايد السبسي تمت إعادة النصب التذكاري إلى مكانه يوم 01 جوان 2016..."

والحبيب بورقيبة هو زعيم الاستقلال وأول رئيس للدولة التونسية المستقلة سنة 1956. ناضل ضمن الحزب الدستوري الجديد بالطرق السلمية تحت شعار: خذ وطالب. أدار جريدة وطنية ناطقة باللغة الفرنسية سنة 1932 هي "لاكْسْيُونْ تونِيزْيانْ" للدفاع عن قضايا الشعب التونسي، وفي ماي 1933 انضم إلى الحزب الدستوري ضمن لجنته التنفيذية مع وطنيين آخرين. ظهر على إثرها الحزب الدستوري الجديد في مارس 1934. وقد عانى من الاعتقال والمتابعة من قبل الاستعمار. وفي سنة 1943 غادر تونس نحو القاهرة سِرا لينضم إلى لجنة تحرير المغرب العربي التي كان يرأسها عبد الكريم الخطابي، من أجل إبلاغ صوت التونسيين إلى الجامعة العربية وخلفه في غيابه الزعيم صالح بن يوسف.[13]

وفي سبتمبر سنة 1949 عاد بورقيبة إلى الوطن بعد أن يئس من الاعتماد على الجامعة العربية، وطالب بإجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية لتمكين الشعب التونسي من ممارسة حقه في الاستقلال. وفي سنة 1952 قامت السلطات بنفيه إلى طبرقة ثم إلى فرنسا هو وبعض المناضلين الدستوريين ثم إلى الجنوب التونسي. وهاجت البلاد وانتظمت المظاهرات واندلع الكفاح المسلح في الجبال وواجهت القوات الفرنسية نضال الشعب بالشدة، وتم اغتيال النقابي فرحات حشاد في 5 ديسمبر 1952 من قبل اليد الحمراء، وهي منظمة إرهابية خلقتها فرنسا. وفي غرة جوان 1955 رجع الزعيم الحبيب بورقيبة من المنفى، وازدادت الاضطرابات والكفاح المسلح واضطرت الحكومة الفرنسية إلى إعلان استقلال الدولة التونسية الداخلي في 31 جويلية 1954.[14]

رضي بورقيبة بوقف الكفاح السلاح بينما رفض الكاتب العام للحزب صالح بن يوسف الذي اعترض على مبدأ التسليم قبل الاتفاق على مسألة الاستقلال، وانقسم الحزب إلى قسمين الحبيب بورقيبة في جانب وصالح بن يوسف في جانب آخر. وكادت الحوادث بين الطرفين أن تؤدي إلى حرب أهلية. ولكن ظروفا جدت في الأفق سارعت

إلى التخلص من قيود الاتفاقية في وقت قصير، وانعقدت مفاوضات جديدة بين ممثلي الحكومة الفرنسية والتونسية في شهر فيفري 1956 وتم التوقيع على بروتوكول 20 مارس 1956 بإلغاء الحماية وإعلان استقلال تونس استقلالا تاما بسيادة الدولة وتولي شؤونها الخارجية وشؤون دفاعها مع الاحتفاظ ببعض الامتيازات لفرنسا.[15]

وفي 25 جوي 1957 ألغيت الملكية بخلع محمد الأمين باي، وتم الإعلان عن قيام الجمهورية برئاسة بورقيبة، الذي بقي في الحكم إلى أن أزاحه الوزير الأول زين العابدين بن علي من الحكم في 7 نوفمبر 1987.

7- المدرسة الصادقية: أسست المدرسة الصادقية سنة 1875، بحسب لوح معلق على جدار المَعلم، هي مدرسة عصرية ثانوية أسسها خير الدين التونسي،[16] الوزير الأكبر لمحمد الصادق باي، في إطار تشجيع العلم والأخذ بما جد في العلوم الحديثة في ذلك الوقت، كما دُرست فيها، إلى جانب اللغة العربية، لغات أجنبية مختلفة كالتركية والإيطالية والفرنسية.

زرنا مقرها يوم 16 نوفمبر 2017 مساء، وهي تقع، كما ذكرنا سابقا، في المنطقة نفسها التي تتواجد بها جامعة 9 أبريل وجامع الزيتونة. توجد أعلى السوق الشعبي الموجود في المدينة العتيقة بتونس بجانب مساحة الحكومة المعروفة بساحة القصبة، في ربوة سنان باشا.

استمرت المدرسة تعطي إشعاعها العلمي في العهد الاستعماري وإلى اليوم، باعتبارها مؤسسة ثانوية رسمية، تَخَرج منها عدد من القيادات التونسية في مختلف المجالات كالرئيس الحبيب بورقيبة والوزير أحمد بن صالح والكاتب محمود المسعدي والرئيس الحالي محمد الباجي قايد السبسي وغيرهم، توجد صور هؤلاء وغيرهم على جدران الساحة التي تتوسط أقسام الدراسة. وفي رواق المدخل لوحتان، تحمل إحداها تاريخ تأسيس المدرسة، وتحمل الثانية قصيدة شعرية تمجد التأسيس وتتكون من 14 بيتا.

تبدأ القصيدة بما يلي:

هذا المَحل هو المحل الأكـرمُ يهبُ العلومَ لمن بــه يتعلــمُ
أرجــاؤه ضاءت بكل فضيلة ودلائل العِرفان عنه تترجمُ

قد كان قبل مؤسساً له ذو العلا الصادق الباشا المليك الأفخم...[17]

8- الحمامات: الحمامات بلدية تقع على بعد 63 كم إلى الجنوب من تونس العاصمة، وهي تابعة لولاية نابل. انطلقنا وزميلي موفقس من محطة الحافلات (بابا عليوة) يوم الخميس 16 نوفمبر، والمحطة غير بعيدة عن وسط المدينة. الحمامات موقع سياحي وصحي، به مركز المعالجة بمياه البحر(Centre de Thalassotherapie) في نهرواس. تحملك سيارة أجرة من محطة الحافلات إلى خارج البلدة بخمس دنانير تونسية. يمكنك الاستفادة من حصة أو حصص يوميا للدلك بحسب ما يشير إليه الطبيب المعالج، بالطحالب أو بطريقة عادية، وبه جناح للتجميل. يشتمل الحمام على مسابح عامة وعلى غرف فردية. استقبلنا الموظف عند المدخل وهو طلق المُحيا عبد السلام بن محفوظ وجال بنا المُركب، اعتذرنا عن الاستفادة من الحمام هذه المرة، وودعنا الرجل الذي سلمنا دليلا به مختلف عمليات الاستحمام العلاجية مع القيمة المالية المطلوبة.

ويقع المجمع الصحي هذا على الساحل، إذ يطل على البحر، وحيث يمكن لرواده التمتع بالسباحة في فصل الصيف. زرته ومرافقي موفق وتمتعنا بمناظره الرائعة ورماله الصفراء الصافية، حيث أخذنا صورا تذكارية بواسطة الهاتف النقال وبآلة التصوير التي كنت أحملها في كل رحلاتي من أجل تصوير الوثائق والمعالم التي تستحق التصوير لفائدتها العلمية أو السياحية.

وعند العودة ركبنا سيارة أجرة في الاتجاه المعاكس لطريق مجيئنا، أي نحو مدينة منوبة بدل العودة إلى مدينة الحامامات التي هي في الاتجاه المعاكس لمدينة تونس التي هي مقصدنا. ومن منوبة ركبنا الحافلة التي أعادتنا إلى محطة باب عليوة في مدينة تونس.

9- الكاتدرائية: انتشرت المسيحية في بلاد المغرب، ومنها تونس خلال القرن الثاني الميلادي، ولاقت هذه الديانة قبولا من قبل السكان خاصة منهم العبيد والفلاحين.

وبدأ نظام بناء الكنائس في القرن الثالث الميلادي على يد القديس قبريانوس القرطاجي في تونس، وقد تعارضت التعاليم المسيحية مع المفاهيم الرومانية كتأليه الأباطرة وعبادتهم إلى جانب آلهة روما، مما خلق العداوة بين الطرفين.

ويذكر مبارك الميلي في كتابه التاريخي أن "أول من أحدث الأديرة بإفريقية القديس أغسطين وكان من حزب الأورثوذكس وانتصب للدفاع عن المسيحية..."[18] ولذلك انتشرت المباني الدينية المسيحية في البلاد المغاربية وانتعشت في العهد الاستعماري الحديث.

وهي تنتصب اليوم بمبانيها الفارهة في أغلب الحواضر المغاربية. وإذا كانت قد حولت عن مقاصدها الأصلية في كثير من البلاد الجزائرية فإنها ما تزال تحتفظ بها في البلاد التونسية.

وقد زرت إحدى الكنائس في العاصمة التونسية صبيحة يوم الاثنين 20 نوفمبر، وهو تاريخ عودتنا مساء، زرت الكاتدرائية المركزية الواقعة بشارع الحبيب بورقيبة بوسط المدينة. تلج إليها من باب خشبي ضخم، يقف أمامك البواب مرحبا، وعلى الباب عبارة "الزيارة مجانية". جُلت في قاعة الكنيسة التي تتوسطها الكراسي وعلى محيطها صور وأشكال مسيحية، أهمها صور لبابوات وقساوسة ولدوا في البلاد التونسية في عهد قديم، وتحت كل صورة تعريف بالشخصية وبمسيرة حياتها الدينية.

حاورت أحد التونسيين العاملين في المكان فأخبرني أن تونس تضم خمسين كنيسة مفتوحة على مستوى القطر التونسي، وأنها مفتوحة للعبادة وللزيارة، لم أكمل تساؤلاتي لضيق الوقت وخرجت مودعا.

10- القيروان: يعود تاريخ القيروان إلى عام 50هـ/670م، حين قام بإنشائها عقبة بن نافع الفهري كي يستقر بها المسلمون. وبنى بها مسجدها وهو أول مسجد بني في بلاد المغرب الإسلامي، وصار على صورته الحالية منذ حكم الأغالبة.

تبعد عن العاصمة جنوبا ب158 كم، تستطيع السفر إليها عبر الحافلة الموجودة بمحطة الحافلات: (باب عليوة). حضرنا يوم افتتاح مهرجان المولد النبوي الذي كان سينظم في مدينة القيروان. فقد تم الافتتاح بالعاصمة يوم السبت 18-11-2017. باعتباره يوما ترويجيا بشارع الحبيب بورقيبة وبجوار النصب التذكاري للرئيس نفسه، حيث نصبت خيمة كبيرة عرضت بها منتجات فلاحية وصناعات تقليدية، وبجوار الخيمة فرقة موسيقية عصرية تعزف ألحانا مختلفة لتنشيط المكان.

ردمد EISSN 2600–6324 ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

أطلق على المهرجان ما يلي: "مهرجان المولد النبوي الشريف بالقيروان من 25 نوفمبر إلى 2 ديسمبر 2017". تحت شعار: **"أدخلوها بسلام آمنين، فهذه قيروان كل الزائرين"**، وبعد اليوم الترويجي تم تسطير البرنامج الذي ينفذ في القيروان في الفترة المذكورة في عنوان المهرجان. ويعود التنظيم إلى جمعية المهرجان بشراكة مع وزارتي الثقافة والسياحة وولاية القيروان. ويشمل المهرجان مجموعة من النشاطات كالمسابقات في الرياضيات والتصوير وفي السيرة النبوية والمدائح والأذكار، والندوات الإسلامية والأمسيات الشعرية والمسرحيات ومعارض للكتب، إلى جانب مباريات في كرة القدم وتنشيط شوارع المدينة بالفرق الموسيقية. في إطار "القيروان أم المدائن عاصمة للثقافة الجهوية."

من مآثر القيروان يوجد ضريح الصحابي أبي زمعة البلوي حلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي وفد على إفريقيا سنة 654م وتوفي بها، استشهد في جلولة على بعد 30 كم من القيروان في معركة ضد البيزنطيين سنة 34 هـ/655م.[19] هو مزار للتبرك والدعاء.

11- مكتبات خاصة في العاصمة: حاولت اكتشاف أكبر عدد من المكتبات الخاصة بالعاصمة التونسية، ولكن الوقت لم يكن كافيا للحصول على كل الأهداف المسطرة. ومع ذلك تمكنت من إحصاء المكتبات التالية:

أ- **مكتبة الكتاب**: هي أهم مكتبة اطلعت عليها كما وتنوعا، توجد بشارع الحبيب بورقيبة الرقم 43. تضم كتبا في مختلف التخصصات، ومنها كتب التاريخ المعاصر.

ب- **مكتبة الاطرش**: تقع بشارع لندن (Londres) رقم 91، متخصصة في الكتب القانونية، وهي لا تخلو من اختصاصات أخرى كالتاريخ والأدب وغير ذلك.

ج- **المكتبة المركزية**: تقع بـ 18 شارع لندن، هي مكتبة متوسطة الحال في محتوياتها.

د- **مكتبة رنيم**: توجد بـ8 نهج نيلسن مانديلا، قبالة محطة المترو الجمهورية (الاسم الشعبي Passage). أكثر كتبها للأطفال، لكنها لا تخلو من كتب أخرى متنوعة. تختص في بيع الكتب القديمة والجديدة.

هـ- مكتبة الآباء البيض: نبهنا الباحث هشام نمر إلى وجود هذه المكتبة الشهيرة باسم (ايبلا- IBLA)، والتي تفتح أبوابها لطلاب العلم والأساتذة للانخراط شهريا (بـ 5 د.ت) أو

سنويا (بـ 30 د.ت)، وهي تقع بشارع جامع الهواء الذي يقع بجانب المعهد العالي للحضارة الإسلامية التابع لجامعة الزيتونة.

والمعروف أنه كان لجمعية الآباء البيض دور تعليمي وتثقيفي في مختلف البلاد المغاربية، من خلال إقامة المدارس والمكتبات ومراكز التكوين المهني للذكور والإناث، وتكوين أفواج الكشافة في العهد الاستعماري؛ ولا يخفى الغرض الخفي لهذه المؤسسة الدينية الفرنسية؛ إلا أن الكثير من أبناء الجزائر الذين تعلموا بها كان لهم دور إيجابي في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، من ذلك أن أفواج الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجنوب الغربي الجزائري، تأسست في الأربعينيات من القرن العشرين من قبل تلاميذ هذه المؤسسة الذين نقلوا تجربتهم إلى أبناء وطنهم وملتهم.[20]

و- مكتبات عمومية: تتمثل في المكتبات الجامعية، إضافة إلى دار الكتب الوطنية والأرشيف الوطني واللذان يقعان في شارع 9 أفريل 1938م.

12- مؤسسة عبد الجليل التميمي: هي مؤسسة أكاديمية خاصة تم إنشاؤها سنة 1985، تهتم بعدد من تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية. تدعى اليوم: "مؤسسة التميمي للبحث والمعلومات"، يشرف عليها عبد الجليل التميمي، وهو أستاذ باحث ومؤرخ في التاريخ الحديث والمعاصر ومن مواليد سنة 1938 بمدينة القيروان.

يقع مقرها بالمنطقة الشمالية الشرقية من مدينة تونس، في عمارة متكونة من عدة طوابق بمحاذاة مؤسسة فوجي فيلم الخاصة بالتصوير الفوتوغرافي، والعنوان كالتالي: المنطقة العمرانية الشمالية الشرقية- عمارة الامتياز- 1003 تونس.[21] يحتوي أحد الطوابق على مكتبة كبيرة تضم آلاف الكتب والمجالات ومفتوحة على قاعة للمتلقيات، ويقع مكتب الأستاذ التميمي ومكاتب إدارية أخرى ومطبعة بالطابق الرابع.

كانت البداية بإصدار المجلة التاريخية المغاربية سنة 1974 التي أصبح التميمي مديرها، وهي تحمل اسم: "المجلة التاريخية المغربية".

قامت المؤسسة بالعديد من الأنشطة والبحوث العلمية.. منها 140 مؤتمرا ولقاء عربيا ودوليا. ومئات الملتقيات للذاكرة التونسية التي غدت تتم كل أسبوع. نشرت 229 عنوانا غطت أهم فروع المعرفة والبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية (الذاكرة التونسية والمغاربية- دراسات عن الإيالات العربية العثمانية- مدونة الآثار

العثمانية- الدراسات الموريسكية- الأندلسية- كشاف الملفات الجغراسياسية والحوارات الثنائية- كتب تقديرية لعديد العلماء الدوليين والعرب الذين خدموا تاريخ وحضارة الأمة العربية)، وتصدر المؤسسة ثلاث دوريات أكاديمية متخصصة في الدراسات العثمانية ومدونة الآثار والدراسات الموريسكية والأرشيف والتوثيق والمعلومات (المجلة التاريخية المغاربية- المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية- المجلة العربية الأرشيف والتوثيق والمعلومات.)[22]

13- ساحة برشلونة: تعتبر ساحة برشلونة أكبر ساحة في تونس العاصمة، توجد بها محطة القطار التي تربط العاصمة بمختلف أنحاء القطر التونسي، كما توجد بها محطة المترو (الترام في الجزائر)، حيث تلتقي خطوطه المختلفة وتدعى بالاسم نفسه وهو: محطة برشلونة، إلى جانب محطة الحافلات الرابطة بين تونس العاصمة وضواحيها الجنوبية. كما توجد محطة سيارات الأجرة. وتجاور الساحة مجموعة من الشوارع المفتوحة عليها والمسماة بأسماء دول ومدن أوربية غربية. وبالقرب من الساحة أسواق للخضر والفواكه مغطاة وفنادق ومطاعم وبنوك ومصارف مختلفة، تقوم بخدمة الناس مواطنين وزوار أجانب في مختلف حاجياتهم. ولا يبعد عنها السوق الخاص بالألبسة في المدينة القديمة إلا قليلا.

14- بعض أحوال التونسيين: تتميز البلاد التونسية بعدة خصوصيات تتميز بها عن بقية البلدان المغاربية، فمن حيث المساحة والسكان تعتبر أقلها مساحة وسكانا، وأقلها موارد طبيعية، مما حدا بها الاعتماد كثيرا على مداخيل السياحة، وهي التي نزل بها مهاجرو بلاد الشام قديما والذين أسسوا دولة قرطاج، وهي التي كانت بابا لدخول الإسلام بسقوط سبيطلة وانهزام الروم. كما حكمها الحبيب بورقيبة في أول حكومة بعد الاستقلال السياسي الذي أعقب الاستعمار الفرنسي، مما أعطاها طابعا بورقيبيا في مجالات مختلفة. واعتمادا على ذلك وعلى غيره لاحظنا ما يلي:

أ- الحالة الأمنية: يعيش التونسيون في السنوات الأخيرة حالة ما بعد الثورة التي ما تزال عالقة في الأذهان، يعتقد البعض أن التونسيين يعيشون حالة ما بعد الاستبداد من حرية وانفتاح، ولكنهم في واقع الأمر يعانون من عدة جهات. فالثورة لم تحقق ما كان يهدف إليه صانعوها. حدثنا أحد سائقي سيارة الأجرة، أن التونسيين مستاءون

مما وصل إليه الوضع في بلادهم والذي لم يتغير كما كانوا يتمنون. ويذكر أن رجال المال والأعمال سافروا وتركوا البلد ليستثمروا أموالهم خارج وطنهم، في الوقت الذي يحتاج الوطن إلى كل دعم من أبنائه عوض المساعدات الدولية التي لا تخلو من شروط، مما يشكل خطرا على سيادة البلاد وسلامتها.

وفي تصريح لقناة "France 24" أجاب الرئيس محمد الباجي قايد السبسي،[23] على تساؤلات الصحفي، أن البلاد التونسية لها خصوصيتها، إلا أن الديمقراطية التي بدأت منذ ثلاث سنوات لم تترسخ بعد على أرض الواقع ولابد من انتظار وقت للممارسة الحقيقية. وإذا كانت الذكرى السابعة للثورة (2011) قد أقبلت، فإنها تدعونا إلى المحافظة على المكاسب التي حصل عليها التونسيون، مذكرا الصحفي بالقول العربي المأثور، أن: "لكل شيء إذا ما تم نقصانُ." وفيما يخص الإرهاب أجاب بأن المهم أن التونسيين حققوا كثيرا في هذا المجال، وأن سنة 2015 كانت أكثر دموية في تونس، بينما نقصت العمليات لكنها لم تنته وعلى الجميع اليقظة كل حين.[24]

ب- العملة الوطنية: يتداول التونسيون عملتهم الوطنية وتسمى الدينار مثل المغاربة الذين يستعملون الدرهم. ويستعمل الجزائريون الدينار، الذي يعود ظهوره إلى شهر أبريل من سنة 1964 بعد الاستقلال بسنتين، حين تم إصدار القانون المتضمن إصدار الدينار الجزائري، لتسجل الجزائر قطيعة نهائية مع "منطقة الفرنك" السارية منذ سنة 1848.

ما أردت الحديث عنه هنا هو تأخر الجزائريين في استعمال اسم دينارهم عند تداوله بينهم بيعا وشراء، حيث ما زلنا نستعمل في لغتنا اليومية الفرنك، رغم أن عملتنا لا تحمل أي شيء من هذه التسمية القديمة، ولكن ارتباطنا بالفرنك الفرنسي مدة قرن وربع قرن من الاستعمار الفرنسي والتأثير الفرنسي على لغتنا اليومية جعلنا لا ننطق بالدينار الجزائري في معاملاتنا. بينما يستعمل إخواننا المغاربة والتونسيين تسمية عملتهم في كل معاملاتهم، فنحن نقول مثلا خمسين ألف فرنك ونقصد به 500 دينار، وهو ما تحمله العملة الوطنية في واقع الأمر، ولكننا نحتفظ بالتسمية القديمة للعملة الفرنسية الاستعمارية. ونقول خمس آلاف فرنك ونقصد بها 50 دينار جزائري. فإلى ماذا يعود هذا التناقض الصارخ؟ ومتى نسمي الأشياء بمسمياتها

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الحقيقية؟ يشابهنا في هذا إخواننا المغاربة في استعمال مصطلح "الريال" محل الفرنك لدينا، وفي الوقت نفسه لا يهملون اسم الدرهم مثلما نهمله نحن في الجزائر باستثناء بعض المؤسسات الرسمية.

15- العودة إلى الوطن: في اليوم العشرين من شهر نوفمبر كانت نهاية فترة التربص التي قضيناها في تونس، حزمنا أمتعتنا وودعنا موظف النزل، وخرجنا نبحث عن سيارة أجرة لتوصلنا إلى مطار قرطاج. كان الازدحام كبيرا بين الناس للحصول على سيارة من بين سيارات الأجرة المارة بالمنطقة المجاورة لمحطة برشلونة بوسط تونس العاصمة. وبعد انتظار حصلنا على إحدى هذه السيارات التي انطلقت بنا في الاتجاه المطلوب، وبعد فترة قصيرة كنا في المطار (5 دنانير).

حصلنا على بطاقة الدخول (Billet d'accès) وجلسنا في قاعة الانتظار ومع كل منا- أنا ومرافقي موفقس- حقيبتانا دون أن تكون لنا أمتعة أخرى، وبذلك سيسهل علينا الخروج من مطار وهران بمجرد نهاية الإجراءات الاعتيادية دون انتظارٍ لوصول الأمتعة التي غالبا ما يطول انتظار الركاب لها. كان المسافرون جزائريون لم ألاحظ أجنبيا معنا رغم أننا كنا نركب طائرة تابعة للخطوط الجوية التونسية، وكانت هناك فراغات في الأماكن عكس يوم قدومنا إلى تونس حيث كانت الطائرة مكتظة بالركاب.

16- العلاقة مع تونس بعد العودة: كنت قد سجلت اسمي ضمن قائمة الحضور للمؤتمر الدولي الذي أشرت إليه آنفا ببيت الحكمة، كما سجلت بريدي الإلكتروني عند دخولي إلى المؤسسة، لهذا أصبح بريدي الإلكتروني يتلقى دعوات من هذه المؤسسة من حين إلى آخر. فمنذ عودتي من تونس وصلتني مجموعة دعوات لحضور ندوة أو محاضرة أو يوم دراسي أو تقديم كتاب أو لقاء حول كتاب.... مما يؤكد قيام مجمع بيت الحكمة بنشاط كبير مكثف. من ذلك أنني تلقيت منذ الثاني من شهر فيفري 2018 حتى 15 جوان ثمانية عشر مراسلة في هذا المجال، مما يعني أن طاقمها العلمي والإداري في مستوى المسئولية الملقاة على عاتق المثقف بعامة، وعلى رأس هؤلاء عبد المجيد الشرفي رئيس المجمع في الوقت الحالي.

وأخيرا لا يسعنا إلا أن نثمن هذه الرحلات التي أتاحت لنا التعبير عن شعورنا تجاه ما لقيناه في البلاد التونسية وما استقيناه من مصادر ومراجع مختلفة، سهلت

لنا التعرض لبعض المؤسسات التونسية ولبعض القضايا الحاضرة التي يعايشها التونسيون يوميا، ولن نستطيع الإلمام بكل ما يخص هذه البلاد، ولكننا استعرضنا بعض ما شاهدناه أو ما استقيناه من هنا وهناك.

الهوامش:

1- يسير هذا المترو على سطح الأرض، وهو ما نسميه نحن في الجزائر "ترامْوَايْ". أما المترو عندنا، فهو الذي يسير تحت الأرض في الأنفاق، مثلما هو في مدينة الجزائر وفي باريس والقاهرة.

2- بحسب ما جاء في مطبوعة للندوة.

3- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: Ar.wikipédia.org تحت عنوان: جامع الزيتونة. يوم 26-12-2017 الساعة .21.42

4- يوجد ثلاث طلبة من قسم التاريخ من جامعة وهران مستفيدين من هذا التربص بتونس وهم: نمر بومدين هشام وطاهر منصور خديجة (تخصص تاريخ إسلامي وسيط)- رقاد سعدية (تخصص تاريخ حديث).

5- يوسف الرزقي، 49 سنة، مؤذن بجامع الزيتونة ومسمع في الصلوات المفروضة، المقابلة في 14 نوفمبر 2017.

6- الطالب الباحث الجزائري: نمر هشام طالب دكتوراه بتونس في إطار تربص طويل المدى من جامعة وهران بالجزائر.

7- موقع: www.mawsoua.tn/wiki/ بتاريخ 2018/01/07 الساعة 22.30

8- عبد الوهاب بوحديبة (التقديم من رئيس المجمع)، دليل منشورات بيت الحكمة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، قرطاج حنبعل، تونس 2016، ص: 7-8.

9- يرأسه حاليا: عبد المجيد الشرفي، وبسبب نشاط المجمع، تلقيت منذ عودتي من تونس دعوات لحضور ندوات علمية. منها: 1- إلقاء محاضرة من قبل الأستاذ منير الفندري في موضوع: المصلح الألماني مارتين لوثر وحركة الإصلاح الديني، يوم 15 فيفري 2018. 2-تنظيم يوم دراسي في موضوع: دراسات في حضارة إفريقية، يوم 2 مارس 2018.

10- من تعليقات الطالب الباحث على ما عايشه خلال إقامته بتونس.

11- علق أحد الصحفيين بصحيفة الشروق اليومي ليوم 26 جانفي 2018 بأن البلدان الثلاث توحدت عندما تقدم الثلاثة لمنظمة اليونسكو بعمل موحد هو تقديم أكلة الكسكسي لتسجلها كتراث عالمي، ويتأسف الصحفي عن التنافر القائم بين هذه البلدان، ويحمد الله على أنهم وجدوا في الكسكسي عاملا للالتقاء.

12- يذكر أحمد توفيق المدني أنها بنيت سنة 480 ق.م.(قرطاجنة في أربعة عصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص: 25.)

13- علال الفاسي الحركات التحررية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء 2005، ص: 87.

14- حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر تونس 2001. ص ص: 167-174.

15- صلاح العقاد، المغرب العربي(الجزائر- تونس- المغرب الأقصى) مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة 1962، ص ص: 381-382.

16- هو خير الدين باشا التونسي(1821-1889) ساهم في شحذ المشروع الإصلاحي في تونس. وكان السند القوي لمحمد باي حين أصدر عهد الأمان من أجل المساواة بين التونسيين. وناصر مبادرة الصادق باي الذي أصدر دستور 1861. كلفه السلطان عبد الحميد الثاني بتولي الصدارة العظمى أواخر سنة 1878 وأبلى البلاء الحسن في إبعاد المخاطر وحل النزاعات الحدودية. إلا أنه أجبر على الاستقالة بعد حين.(مذكرات خير الدين باشا، تحقيق وتعريب محمد العربي السنوسي، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث. بيت الحكمة. قرطاج 2008. ص: التقديم).

17- قصيدة شعرية عند مدخل المدرسة الصادقية بدون إشارة إلى مؤلفها، كتب في نهايتها سنة 1315هـ/ وهو ما يوافق 1898م.

18- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الأول،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1963، ص: 226.

19- الموقع بتاريخ 10 ديسمبر 2017: http://www.afrigatenews.net/content/ بوابة إفريقيا الإخبارية. وشهادة مولدي موظف بنزل جنيف شارع سويسرا تونس العاصمة، وهو أصلا من القيروان، المقابلة في تونس في 14 نوفمبر 2014.

20- ينظر كتابنا: التعليم القرآني في الجنوب الغربي الجزائري قبل 1962، نشر وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015، ص: 101-109. من أشهر هؤلاء: باقي بوعلام مجاهد ووزير سابق(1922-2017)، وبوعمران الشيخ الرئيس السابق للمجلس الإسلامي الأعلى (1924-2016).

21- هشام بومدين نمر طالب دكتوراه متربص بتونس حتى ديسمبر 2017. وينظر موقع: https://ar.wikipedia.org/wikiA في 17 جوان 2017 الساعة 12 زوالا.

22- الكشاف الجديد لمجمل الأنشطة العلمية لمؤسستنا منذ الإنشاء 1985- 2016، عبد الجليل التميمي،مؤسسة التميمي، الطبعة لخامسة،تونس،2016. بمساعدة: سعدية رقاد طالبة دكتوراه من جامعة وهران الجزائر، متربصة بجامعات تونس حتى ديسمبر 2017. بريد إلكتروني بتاريخ 2018/06/17.

23- محمد الباجي قايد السبسي رئيس الجمهورية التونسية الحالي(2018). ولد في 29 نوفمبر 1926. تلقى تعليمه بالمدرسة الصادقية بتونس العاصمة، وفي سنة 1949 انتقل إلى باريس ليواصل دراسته العليا في الحقوق، ودَرَّس في هذه الكلية نفسها بباريس، هناك تعرف على الحبيب بورقيبة الابن وتوطدت العلاقة بينهما، ليلتقي سنة 1950 بالحبيب بورقيبة الأب. عاد إلى تونس سنة 1952. ناضل في الحزب الحر الدستوري، وبعد الاستقلال عمل مستشارا للرئيس الحبيب بورقيبة، كما عمل محاميا، تولى عدة مسئوليات في الدولة التونسية بين سنتي 1963 و1991. وبعد الثورة التونسية تولى منصب رئيس الحكومة المؤقتة سنة 2011. وترشح للانتخابات الرئاسية التونسية سنة 2014 عن حزب نداء تونس الذي قام بتأسيسه سنة 2012، وتمكن من الفوز في الانتخابات اثر إعلان الهيئة العليا المستقلة للانتخابات يوم 2014/12/22. .قام بسرد تجربته مع بورقيبة في كتاب "الحبيب بورقيبة، البذرة الصالحة والزؤام" الذي نشر عام 2009. (عن موقع: https://ar.wikipedia.org يوم 2018/1/4، الساعة 10 مساء).

24- قناة فرانس 24(France 24) يوم الخميس 2017/12/14 الساعة التاسعة مساء.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الملحق

(نوفمبر 2018.)

1- الصورة الأولى لحمامات أنطونيوس بقرطاج حنبعل.

2- الصورة الثانية: لوحة معلقة في مدخل المدرسة الصادقية تعلن افتتاحها في 24 ذو الحجة 1292هـ(أول فيفري 1875م).

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

اعلان

المدرسة الصادقية

الحمد لله الوزارة المصونة تعلن بما ياتي

المدرسة الصادقية بالحاضرة المحمية ستفتح ان شاء الله تعالى للتعليم في العشرين من المحرم الحرام فاتح شهور العام الجديد المبارك عام اثنين وتسعين ومائتين والف * وهي معدة لتعليم القرءان العظيم والعلوم النافعة الشرعية بوسائلها والمعارف السياسية على مقتضى تراتيبها المضاة من الحضرة العلية * ويقبل فيها من التلامذة من كان في سن سبع سنين الى تمام خمسة عشر عاما هذا في السنة الاولى وهي سنة ١٢٩٢ اما فيما بعدها فيقبل من كان في سن السبع الى سن العشر * وجملة من يقبل فيها مائة وخمسون تلميذا مائة من اهل الحاضرة وخمسون من اهل الافاق التونسية * وهولاء التلامذة على صنفين الصنف الاول يقيمون بالمدرسة ليلا ونهارا والدولة تتكفل لهم بجميع ضروريا تهم مجانا * وعدد هذا الصنف خمسون ثلاثون من اهل الحاضرة وعشرون من اهل الافاق * والصنف الثاني ياتون للتعليم نهارا ويبيتون عند اهلهم وعددهم مائة سبعون من اهل الحاضرة وثلاثون من اهل الافاق والدولة تتكفل لجميعهم بضروريات التعليم فقط مجانا * فمن اراد ان يعلم ولده او قريبه بالمدرسة المذكورة فليقدم الى ناظرها اسمه واسم التلميذ مع بيان سنه ومحل سكناه وما يختاره من الاقامة بالمدرسة او الاتيان اليها نهارا للتعليم * ومن ليس له ولي فليات الى المجلس البلدي ليكون دخوله للمدرسة على طريق المجلس البلدي والمجلس يقدم اسمه * ومحل تقييد الاسماء المدرسة من قبل الزوال بثلاث ساعات الى الزوال في مدة نهايتها شهر من تاريخ هذا الاعلان * ويقدم الاسبق في التقييد اذا اجتمع من الاسماء اكثر من العدد المطلوب وهو المائة والخمسون تلميذا *

وكتب في الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة احدى وتسعين ومائتين والف * (امضاء المولى الوزير الاكبر) خير الدين